مصطفى الجزار

الجمهورية العربية المصرية

كفكف دموعك وانسحب يا عنتره

أخونا الأستاذ حمدو حمشو يحفظه الله، نشر عبر العنكبوتية هذا النص:

رفضت لجنة التحكيم في مسابقة أمير الشعراء في أبو ظبي قصيدة ملحمية للشاعر المصري مصطفى الجزار وعنوانها (كفكف دموعك وانسحب يا عنترة) والسبب الذي تعللت به لجنة التحكيم لرفض القصيدة هو أن موضوعها لا يخدم الشعر الفصيح والشاعر بأسلوب رائع صور أن الأمة هي عبلة وأن عنترة هو العربي الغيور على أمته. مجلة (المستقبل العربي) قررت نشر القصيدة وهنا نصها:

كفكف دموعك وانسحب يا عنتره

فعيون عبلة أصبحت مستعمَره

لا ترج بسمة ثغرها يوماً فقد

سقطت من العقد الثمين الجوهره

قبِّل سيوف الغاصبين ليصفحوا

واخفض جناح الخزي وارج المعذره

ولتبتلع أبيات فخرك صامتاً

فالشعر في عصر القنـــــابل ثرثره

والسيف في وجه البنادق عاجز

فقد الهُويـــــة والقُوى والسيـــطره

فاجمع مفاخرك القديمة كلها

واجعل لها من قاع صدرك مقبره

وابعث لعبلة في العراق تأسفاً

وابعث لها في القدس قبل الغرغره

اكتب لها ما كنت تكتبه لها

تحت الظلال وفي الليالي المقمره

يا دار عبلة بالعراق تكلمي

هل أصبحت جنات بابل مقفره؟

هل نهر عبلة تستباح مياهه

وكلاب أمريكـــا تدنس كوثره؟

يا فارس البيداء صرت فريسة

عبداً ذليـــلاً أسوداً ما أحقره

متطرفاً...متخلفاً ومخالفاً

نسبوا لك الإرهاب صرت معسكره

عبس تخلت عنك هذا دأبهم

حمرٌ ـ لعمرك ـ كلـــها مستنفره

في الجاهلية...كنت وحدك قادراً

أن تهزم الجيش العظيم وتأسره

لن تستطيع الآن وحدك قهره

فالزحف موج...والقنابل ممطره

وحصانك العربي ضاع صهيله

بين الدوي وبين صرخة مُجبَرَه

هلّا سألت الخيل يابنه مالك

كيف الصمود وأين أين المقدره

هذا الحصان يرى المدافع حوله

متأهباتٍ..والقذائف مشهره

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى

ولصاح في وجه القطيع وحذره

يا ويح عبس..أسلموا أعداءهم

مفتاح خيمتهم ومدوا القنطره

فأتى العدو مسلحاً بشقاقهم

ونفاقهم فأقام فيهم منبره

ذاقوا وبال ركوعهم وخنوعهم

فالعيش مر...والهزائم منكره

هذي يد الأوطان تجزي أهلها

من يقترف في حقها شراً يره

ضاعت عبيلة..والنياق ودارها

لم يبق شيء بعدها كي نخسره

فدعوا ضمير العُرب يرقد ساكناً

في قبره...وادعوا له بالمغفره

عجز الكلام عن الكلام..وريشتي

لم تبق دمعاً أو دماً في المحبره

وعيون عبلة لا تزال دموعها

تترقب الجسر البعيد..لتعبره

* * *

القصيدة كلها سليمة من الأذى والنشاز والخروج عن المألوف، فنياً وأدبياً ونحوياً وصرفياً والمعاني والمباني، البناء سليم في شكله ومضمونه، وقوافيه وصدره وعجزه وأخيلته وصوره الفنية، والمعاني مرتبة في نفس صاحبها ترتيباً متناسقاً، والألفاظ والتراكيب مرتبة على ترتيب المعاني في نفس صاحبها، كما قال عبد القاهر الجرجاني في كتابه (أسرار البلاغة في الصفحة الثالثة، وإسقاط التاريخ على النص برموزه وشموخه وانكساره ومحاولة رأب الصدع لانجباره، والتراث والمعاصرة والربط بينهما، وهذه هي الأصالة في عرف النقاد العرب، لأن بعض دول العالم ليس لهم ماض، وهذا يعني ليس لهم تراث، فإذن ليس لهم أصالة، لأن الأصالة تعني اندماج الماضي مع الحاضر، واستلهام الماضي للحاضر؛ لتطويره ولتحضيريه، أي: ليصبح حضارياً، ولتعصيره أي:

ليصبح عصرياً.أريد أن أدخل إلى النص فلا أستطيع، لأن البوابة مغلقة، أغلقتها لفظة واحدة قضت على النص، ذاتاً وصفات طرحاً شعرياً لفظه خارج إطار الشعر، بل ألغى هويته، فهو ليس بشيء، ليس بشيء يسمى شعراً بل لا يسمى أدباً، لفظة واحدة لها قوة التأثير على الروح والوجدان، والأدب والشعر والمسابقات، وعلى السياسة.عفواً كل شيء مباح إلا هذه اللفظة السحرية، فقد ألقت بَعاعها على العقلية العربية وأصبحت بعبعاً يخيف، ولا تسل: يخيف مَن؟ كلمة واحدة تحمل سوط الجلد ليس بيد أهلها، بل بيد من يخافون منها، إنها لفظة(أمريكا).هل أطبقت الأرض على السماء؟ هل غارت كما غار قارون؟ بل أشد؟ هل جاءت بطوفان نوح؟ يعني، قريباً من ذلك إن لم يكن هو نفسه.لفظة واحدة في نص عنترة، يخرجه من مسابقة أمير الشعراء، بل يلغيه، يلغيه في نظر الأعمى الذي نظر إلى أدب المتنبي، ولكن لا يلغيه في نظر ابن القرن الحادي والعشرين الذي يحارب لتتحرر هويته من ربقة هذه اللفظة.

*كفكف دموعك وانسحب يا عنترة *

نخلة شامخة باسقة ليست سنبلة في مهب الريح تحني رأسها لأقل ريح منتنة تخرج من كرش ضخم معلوف على

الموائد ناسياً الجياع الذين يموتون في الأوطان بالجملة لا بالمفرّق.

لفظة(أمريكا) يجب أن تسعد من يستظلون في ظلال جحيمها لأنهم في خيمتها، لا في الخيمة العربية التي خرجت الفاتحين الذين يخيف ذكرهم المترفين وأصحاب الأهواء والملونين المصابين بالإدز والهربز والدوخة والهذيان والغثيان والجذام والسيلان...

ولذلك فإن هذه القصيدة قصيدة عنترة وسام شرف إضافة إلى كونها وسام إبداع.ونحن نضعها في صدر الشعر العربي الإسلامي.